

أضواء البيان

@ 64 @ خطاب الله تعالى إياها . .

فإذا كانت الجبال أشفقت لمجرد العرض عليها فكيف بها لو أنزل عليها وكلفت به . .
ومنها : أن الله تعالى لما تجلى للجبل جعله دكاءً وخر موسى صعقاً . .
والقرآن كلام الله وصفة من صفاته ، فهو شاهد وإن لم يكن نصاً . .

ومنها النص على أن بعض الجبال التي هي الحجارة ليهبط من خشية الله لقوله تعالى : {
وَإِنَّ مِنَْ الْجِبَالِ لَمِمَّا يَنْتَفِجُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَمًا
يَشْهَقُونَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَمًا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ } . .

وقد جاء في السنة إثبات ما يشبه ذلك في جبل أحد ، حينما صعد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان رضي الله عنهم فارتجف بهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : (أثبت أحد فإن عليك نبي وصديق شهيدان) . .

وسواء كان ارتجافه إشفاقاً أو إجلالاً فدل هذا كله على أنه تعالى : وإن لم ينزل القرآن على جبل أنه لو أنزله عليه لرأيته كما قال تعالى : { خَاشِعَاءٌ مُّتَضِعَّةٌ عُزَّاعٌ مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } . .

وبهذا أيضاً يتضح أن جواب لو في قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُ فُرِيقَانِ سُبُطَاتٍ بَيْنَ الْجِبَالِ لَكُنْ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَرْجَمَ مِنْ تَقْدِيرِهِمْ لَكَفَرْتُمْ بِالرَّحْمَنِ ، لَأَن مَّوْضِعَ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ وَخُشُوعَهَا وَتَصْدِيعَهَا وَاحِدٌ ، وَهُوَ الَّذِي قَدَّمَهُ الشَّيْخُ رَحْمَةً لِلَّهِ عَلَيْهِ هُنَاكَ ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ . قوله تعالى : { وَتَلَاكَ الْإِسْمُ مَثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } . الأمثال : جمع مثل ، وهو مأخوذ من المثل ، وأصل المثل الانتصاب ، والممثل بوزن اسم المفعول المصور على مثال غيره . .

قال الراغب الأصفهاني ، يقال : مثل الشيء إذا انتصب وتصور ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (من أحب أن يمثل له الرجال فليتبوأ مقعده من النار) ، والتمثال : الشيء المصور ، وتمثل كذا تصور قال تعالى : { فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } .